

﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلْوَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ (١): ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ ءَامِينَ...﴾ (٢)
﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ (٣).

أجل إن ﴿الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾ (٤) يؤمن هؤلاء المؤمنين المتقين عن كلِّ بأس وبؤس يوم الدنيا ويوم الدين، ولأن الإيمان والتقوى وترك الظلم درجات، فكذلك الأمن الناتج عنه درجات، ولأن قضية الإيمان الآمن تطبيق قضاياها ككلِّ، في حق التوحيد والنبوة والمعاد وفروعها، وفي حق كافة المسؤوليات الإيمانية فردية وجماعية، فقد تشمل ﴿يُظَلِّمُ﴾ كلَّ انتقاص من أيٍّ من هذه البنود الإيمانية.

خلطاً «بشك» (٥) ككلِّ، أو خلطاً لولاية الإيمان رسالة وخلافة (٦) أو خلطاً لعمل صالح بطالح، أو خلطاً لنية سالحة بغيرها، أم أي خلط خارج عن قضية الإيمان.

ف «ليس كل من وقع عليه اسم الإيمان كان حقيقاً بالنجاة مما هلك به الغواة، ولو كان كذلك لنجت اليهود مع اعترافها بالتوحيد وإقرارها بالله ونجى سائر المقربين بالوحدانية من إبليس فمن دونه في الكفر...» (٧).

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٥١.

(٣) سورة الدخان، الآية: ٥٥.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٥) نور الثقلين ١: ٧٤٠ في أصول الكافي بإسناده إلى أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية ﴿... يُظَلِّمُ﴾ [الأنعام: ٨٢] قال: بشك.

(٦) فيه عن المصدر عنه عليه السلام في ﴿يُظَلِّمُ﴾ [الأنعام: ٨٢] قال: بما جاء به محمد من الولاية ولم يخلطوها بولاية فلان وفلان.

(٧) المصدر في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه «وأما قوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [طه: ١١٢] وقوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَحَمَلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] فإن ذلك كله لا يغني إلّا مع الاهتداء وليس... وقد بين الله ذلك بقوله: =

وتفسير ﴿يُظْلَمُونَ﴾^(١) أنه «بشرك» تعبير عن أنحس الظلم وأتعسه، أم يؤوّل بأي شرك جلي أو خفي، عقيدي أو عملي، وأما عبادة الأوثان فلا يخلط مع إيمان أياً كان، فإنما هو دون عبادة الأوثان: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٢) والعبارة الصالحة لغاية الشرك هي الشرك نفسه، أم ولأقلّ تعبير «بالظلم» دون ﴿يُظْلَمُونَ﴾ الشاملة لكلّ ظلم.

ذلك، أو أنه يعني من ﴿الْأَمْنِ﴾ مطلق الأمن، لا الأمن المطلق وقد تتحملة الآية تأويلاً، وقد يروى عن النبي ﷺ «إنما هو الشرك» إنه قال: «من ابتلي فصبر وأعطى فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^{(٣) (٤)}.

إذاً فحين يُعنى من ﴿الْأَمْنِ﴾ الأمن المطلق ف ﴿يُظْلَمُونَ﴾ تعم كلّ ظلم، وهذا هو ظاهر التنزيل، وأمّا حين يعنى منه مطلق الأمن ف ﴿يُظْلَمُونَ﴾ تعني أظلم الظلم وهذا من باطن التأويل.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٥٣):

= ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] ويقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

(١) الدر المثور عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: أنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؟ إنما هو الشرك.

أقول: الشرك المرسوم وهو عبادة الأوثان خارج هنا عن «ظلم» مهما كان أظلم الظلم، حيث الإيمان وأن في أدنى درجاته لا يجتمع مع هذا الشرك.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٤) المصدر في الشعب عن سنجرة قال: قال رسول الله ﷺ: ... ثم سكت فقبل له يا رسول الله ﷺ ما له؟ قال: ﴿أُولَئِكَ...﴾ [الأنعام: ٨٢].

و﴿تِلْكَ﴾ البعيدة المدى، العميقة الصدى، الباهرة الهدى، من حجج التوحيد ﴿حُجَّتْنَا﴾ آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ ﴿عَلَى ضَوْءِ إِرَائِهِ﴾ ملكوت السماوات والأرض، وتلك درجة لا ينالها إلا من أخلصه الله مهما كانت درجات حيث ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾: فمن الدرجات التي أوتيتها إبراهيم الخليل من ربه الجليل النبوة ثم الرسالة ثم النبوة ثم الإمامة، وقد أوتي معها رؤية ملكوت السماوات والأرض حجة لتوحيد الله، وملكوت إحياء الأموات اطمئناناً لقلبه بهذه المعرفة القمة وهي عين اليقين بحقيقة الإحياء، وإخماداً لنار نمروذ، درجات سبع في أصولها وفيها مزيدٌ بتقاسيمها، ثم في الأخرى درجات أخرى هي أخرى بكونها درجات.

وقد تلمح جميعه ﴿حُجَّتْنَا﴾ لجامعية الحجة الربانية التي أوتيتها إبراهيم لما تحتاج إلى حجة من محجة.

١ - ولأن الرب لا يؤتي حجة لمربوبه النبي ذي الدرجات، فيها تشكك لتوحيد.

٢ - ومن ثم هي ﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾.

٣ - ثم ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١) قبل إلقاء الحجة.

٤ - و﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾^(٢) ضمن إلقاءها.

٥ - و﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٣) كحالة دائبة لإبراهيم.

٦ - ثم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤).

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.

٧ - ومن قبل ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴿١﴾ .

هذه العساكر السبعة مجندة لأن «هذا ربي» منه في حجاجه لم تكن إلا مجاراةً على الإنكار والاستخبار، دون تصديق وإقرار ﴿٥٢﴾ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ : ﴿حَكِيمٌ﴾ في حجته لا يتخللها شك وريبة، ولا تُغلب بأية حجة ﴿عَلِيمٌ﴾ بإلقائها في موالية ظروفها.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ :

هنا يُذكر ثمانية عشر من الأنبياء^(٢) من ذرية إبراهيم إلا نوح، من أجداده، وهو نفسه حجر الأساس في ذلك التعريف العريف، وترك ثمانية، منهم من هم من جدوده وهم آدم وإدريس، أم سواهم كهود وصالح، ومنهم من هو إمام الأئمة في سلسلة الرسالات وهو محمد ﷺ .

وترى كيف لم يذكر إسماعيل كأول وهبة لإبراهيم وهو بكر ولديه، وقد تأخر في الشطر الثالث من هذه الشطرات الثلاث الرسالية، وهو جد محمد خاتم النبيين ﷺ ؟.

لقد ذكر إسماعيل اثني عشر مرة في القرآن، في ثلاث منها يذكر هو - فقط - مع إبراهيم دون إسحاق^(٣) وفي خمس يتقدم على إسحاق مع

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٥١، ٥٢ .

(٢) الدر المشور ٣: ٢٨ عن قتادة وهم الأنبياء الذين قصَّ الله على نبيه الثمانية عشر الذين قال الله: ﴿فَهَدَيْتُهُمْ أَقْصَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

(٣) كما في ٣: ١٢٥ و ١٢٧ و ١٣٣ .

إبراهيم^(١) وفي أربع يذكر دون إبراهيم وإسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^(٢) وهنا مرة يتيمه يتقدم - بفصل أنبياء على إسماعيل - إذًا فليس في تأخير ذكره تأخيره عن متحده الرسولي، فمن الملاحظ أن ترتيب المقامات الرسالية هنا غير وارد كما تأخر نوح أول أولي العزم عن إسحاق ويعقوب، وتأخر موسى وعيسى عن تأخر عنهم وهما أفضل منهم^(٣).

فهنا الترتيب غير مراعى لا زمنًا ولا رتبة، وإنما القصد عرض موكب رسالي بمختلف الدرجات والأزمنة، هم كلهم إلا نوح من الوهبة الربانية لإبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، اللهم إلا وهبة في سلسلة الجدود فإن «وهبنا» لا تختص بوهبة الذرية.

وقد تقدم إسحاق فيمن تقدم هنا كمرة يتيمة على إسماعيل حيث القصد ذكر الأنبياء الإسرائيليين من ولد إسحاق، فليتأخر إسماعيل إلى أخريات ذكرى النبيين هنا، ولأنه - فقط - جد آخر النبيين، كما ولم يذكر هنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه المحور الأساس في هذه الذكريات، فإنهم له تقدمات، ثم ويخاطب ﴿فَهَيِّدْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾^(٤).

فذلك الترتيب - على غير ترتيب الحدّ الرسولي وزمنه - ترتيب قاصد لا يعني رتبة زمنية أم رسالية، فمن المقصود هنا - فيما قصد - عرض موكب الأنبياء الإسرائيليين بمعرض الكتابيين حتى يأنسوا إلى ذكراهم، وعلّ في تقديم داود وسليمان ويوسف تذكيرهم بسابغ نعمة المُلْك إلى نعمة

(١) كما في ٢: ١٣٦ و ١٤٠ و ٣: ٨٤ و ٤: ١٦٣ و ١٤: ٣٩.

(٢) في ١٩: ٥٤ و ٢١: ٨٥ و ٣٨: ٤٨ وهنا إسماعيل واليسع.

(٣) الدر المشور ٣: ٢٨ عن قتادة وهم الأنبياء الذين قص الله على نبيه الثمانية عشر الذين قال الله: ﴿فَهَيِّدْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

الرسالة في الأنبياء الإسرائيليين، ومن ثم يذكر ﴿مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ كأصل الرسالة الإسرائيلية، ومن ثم ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ حسب الترتيب الرسالي بما كان الأولان مقدمة للأخير، ثم إسماعيل بن إبراهيم يتأخر حتى لا تحصل لهم حزازة وابتعاد، ويذكر من بعد اليسع ويونس ولوط وقد كان لوط نبياً مع إبراهيم وإسماعيل ابنه ثم اليسع ويونس بعدهما .

ذلك، وقد تنحل بهذه الآية بعض المسائل التي هي من معارك الآراء بين النافين والمثبتين أن ابن البنت يعتبر من ذرية والد البنت أم لا؟ فقد تقوّلت جماعة أنه لا، وهي قولة ناشئة من الجاهلية التي ما كانت تعتبر البنت من الذرية فضلاً عن ابنها، واستند لذلك إلى الشعر الجاهلي^(١) والرواية الجاهلية القائلة أن أبناء البنات من الأديعاء ف ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾^(٢).

(١) هو بنونا بنو أبناءنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

(٣) وسائل الشيعة ٦: ١٨٨ مرسل الكليني عن العبد الصالح في حديث طويل قال: ومن كانت أمه من بني هاشم وأبوه من سائر قريش فإن الصدقات تحل له وليس له من الخمس شيء فإن الله يقول: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ...﴾ [الأحزاب: ٥] أقول: ونحن نقول ادعوا هؤلاء المختلفين لمثل هذه الرواية لأبائهم، فكيف يعتبر أبناء البنات من الأديعاء؟ فهل الحسنان عليهما السلام من الأديعاء؟! ف ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ...﴾ [الأحزاب: ٤] يقول صاحب الجواهر في ١٦: ٩١ عن هذه المرسلة في كتب المحمدين الثلاثة يكفي اتفقهم على روايته جبراً لإرساله فضلاً عن شهادة النظر في متنه والتأمل فيه وفيما اشتمل عليه من الأحكام المخالفة لمن جعل الله الرشد في خلافهم وعن عمل كافة الأصحاب عداه به - المرتضى - وإن ذكر في بعض الكتب مستنداً غيره الذين فيهم من لا يعمل بالقطعيات.

أقول: والموجود في أخبار الخمس هو الآل والذرية والعترة وذوي القرابة وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ويقول في الجواهر بعد النقض والإبرام في استحقاق الخمس للمنتسبين بالأمهات إلى هاشم أو إلى الرسول «ومن هنا كان الاحتياط في ترك أخذه الخمس والزكاة وإن كان الأقوى في النظر ما عرفت - يعني عدم استحقاق الخمس لهذه المرسلة الغربية - ثم يشنع على =

ولا ينقضي العجاب من هؤلاء الذين يستندون إلى مثل هذه الرواية المخالفة لنص القرآن والموافقة لسنة جاهلية، ولا سيما بشبه ضرورة إجماعية!.

هنا يعد عيسى عليه السلام في عداد ذرية إبراهيم وليس إلا ابناً لحفيدته مريم عليها السلام، وهكذا يحتج أئمتنا عليهم السلام أنهم من ذرية محمد صلى الله عليه وآله فكيف يكون عيسى ابن مريم عليها السلام - على بُعد البعيد عن إبراهيم عليه السلام - من ذرية إبراهيم، وليس الأئمة منذ الحسنين عليهم السلام على قريتهم إلى محمد صلى الله عليه وآله من ذريته ^(١)؟.

لقد ذكر من ذكر هنا وأشار إلى غيرهم بمثلث: **﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾** ^(٢) بعد، واختص لكل شطرٍ من الشطرات الثلاث المذكورة مواصفة

= صاحب الحدائق بقوله: لكن المحدث المزبور قد بالغ في اختيار ذلك لاختلال طريقته مشدداً للإلتكاف على الأصحاب بتسجيع شنيع وخطاب فظيع حتى أنه تجاوز ما يجب عليه من الآداب مع حفظ السنة والكتاب.

أقول: وطبيعة الحال في نصاب الخمس يقتضي استيعابه لكل المنتسبين إلى الرسول أو الهاشم باب أوام وبذلك يحتل أصحاب الخمس القسم العظيم، وإذا اختص بالمنتسبين بالآباء فقد نسأل كيف يختص نصف الخمس من كل الإفادات بعشر الفقراء ثم الزكاة التي معدلها ١٠٠/٦ من تسعة من الأموال تقسم بين ١٠٠/٩٠ من الفقراء.

(١) في الدر المنثور ٣: ٢٨ - أخرج ابن أبي حاتم عن أبي حرب بن أبي الأسود قال أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وآله تجده في كتاب الله وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده، قال: أأنت تقرأ سورة الأنعام: **﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ... وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾** [الأنعام: ٨٤، ٨٥] قال: بلى، قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال: صدقت.

وفي الدر المنثور ١: ٧٤٣ في عيون الأخبار في جواب موسى بن جعفر عليه السلام عن سند آل هارون الرشيد عن معنى الذرية قال: **﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ... وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾** [الأنعام: ٨٤، ٨٥] من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟ قال: ليس لعيسى أب، فقلت: إنما ألحق بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام وكذلك ألحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبل أمنا فاطمة سلام الله عليها.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٧.

خاصة، فالأولى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وللثانية ﴿كُلُّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ وللثالثة ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

هكذا يظهر في بادئ الأمر، ولكن الثلاث مشتركة في هذه الثلاثة، فـ ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ دون «نجزهم» يعمم الجزاء لكل النبيين، ثم ﴿كُلُّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ تشمل معهم من قبلهم وكلاً من الصالحين المذكورين بعد وغير المذكورين، ثم ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يشمل كل الشطرات الثلاث ومن سواهم من المفضلين.

﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٧):

وبعضاً من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم، أيضاً هم من الموهوبين لإبراهيم عليه السلام اللهم إلا نوحاً ومن آباءه آدم وشيث وإدريس، ومن ذرياته الأنبياء الذين كانوا قبل إبراهيم، اللهم إلا في سعة نطاق هذه الوهبة لتشمل الآباء إلى الذرية.

فلأن الأكثرية الساحقة من النبيين هم من ذرية إبراهيم فقد يصح ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ بل وكما تصح هذه الوهبة له في غير ذريته فإنهم من شدات سلسلة النبوة الربانية في تاريخ الرسالات ككل، فإنها وهبة لكل منهم مساندة ومساعدة في هذه الدعوة الرسالية، ولا سيما إبراهيم عليه السلام لأنه عمود في موكب الرسالات إلا خاتم المرسلين.

هنا ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ تعم كافة الرسل عن بكرتهم، فإنها قضية كل رسالة ربانية.

وإنما نكر ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دون تعريف، خلاف ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) لأنه مشترك فيه بين كافة المهديين الرساليين، وهم درجات في ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

وأما ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فهنا «الاجتباء» تقدمت للهدى إلى صراط مستقيم، حيث الجبابة هي الجمع الجيد الجاد، ومنه جبابة الخراج، و﴿يُجَبِّئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).

وهنا مثلث من الاجتباء تعنيه ﴿وَأَجْنِبْنَاهُمْ﴾.

١ - اجتباء كل في نفسه ونفسياته أن جمع الله متفرقاته ومتشقاته، إخلاصاً لفطرته وعقليته وحسّه، إخلاصاً شخصياً.

٢ - ثم اجتباءه من بين نظراءه تفضيلاً فضيلاً.

٣ - ثم اجتباء الكل بين العالمين في الطول التاريخي والعرض الجغرافي، موكب رسالي مجتبي بين العالمين من الجنة والناس ومن سواهم من المكلفين أجمعين.

ومن ثم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فلكل هدى على حده، ولللكل هدى رسالية هي قضية رسالته في أبعادها.

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾^(٢):

﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد الحق دون أية ممارسة ومجاراة أو أنصاف حلول بينه وبين الشرك ﴿ذَلِكَ﴾ فقط ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ﴾ الله ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ الهدى فيشاء له الهدى^(٢) ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ على فرض الحال ﴿لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(١) سورة القصص، الآية: ٥٧.

(٢) عن تفسير العياشي عن العباس بن هلال عن الرضا عليه السلام أن رجلاً أتى عبد الله بن الحسن فسأله عن الحج؟ فقال له: هذا جعفر بن محمد عليه السلام قد نصب نفسه لهذا فأسأله فأقبل الرجل إلى جعفر عليه السلام فسأله فقال له: قد رأيتك واقفاً على باب عبد الله بن الحسن فما قال لك؟ قال: سألته فأمرني أن أتيك وقال: هذا جعفر بن محمد عليه السلام قد نصب نفسه لهذا فقال جعفر عليه السلام نعم، أنا من الذين قال الله في كتابه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] سل عما شئت فسأله الرجل فأنبأه عن جميع مسأله.

حال توحيدهم، إذ لا فارق في إحياء الإشراف بين سابق سابق وسابق وسابق خائف ما حق، ولكن:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾:

أترى «هم» في ﴿آتَيْنَهُمُ﴾ هم المذكورون هنا بأسمائهم؟ ومن غير المذكور منهم من هم أهم منهم محتداً كالرسول الأعظم محمد ﷺ! .

إنهم «هم» و﴿وَمَنْ آتَيْنَاهُمُ وَذُرِّيَّتَهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ﴾ ومحمد ﷺ هو رأس الزاوية، فهم الموكب الرسالي العالي، الجامع بين مثلث ﴿الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ فليس كل رسول نبياً، ولا كل نبي له كتاب، فهم - إذاً - الرعيل الأعلى من الرسل الجامعين لهذه الميزات الثلاث: كتاب شرعة مهما كانت فرعية كسائر كتابات السماء غير ما لأولي العزم منهم، والحكم روحياً وزمناً مهما صُدَّ الكثير منهم عن مظاهر الحكم الزمني، والنبوة وهي هنا الرفعة بين المرسلين .

ولقد جمع هذا المثلث في حقل النبوة الإسرائيلية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾^(١) واختص من بينهم المسيح بقول فصل: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾^(٢) .

وأخص الخواص في هذا الحقل الثلاثي هو الرسول الأعظم محمد ﷺ وكما تدل عليه آيات كآية الميثاق: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءِ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٩ .